أقاصيص الساعات الخمس

من أين جاءت تلك التسمية ؟!!

قبل أن أبدأ في سرد ظروف كتابة هذه التجربة الفريد، أتمنى من القارئ أن يعي الظروف التي تحيط بي أثناء الكتابة، والتي فرضتها عليّ ظروفي المعيشية أن أواصل الكتابة التي هي جزءٌ من تكويني، ولا أستطيع الفكاك منها لأنها قدري !! فطبيعة عملي في المكتب الفني بوسائل النقل بشركة شمال القاهرة للكهرباء، هي التي تعينني على مواصلة الحياة، واستمرار رحلتي في الكتابة، لذلك فقد كيفت أموري في أن أروض وحيي عندما تداهمني فكرة، سواء كانت قصيدة شعر أو قصة قصيرة أو معالجة درامية أو تتابع مشاهد لمسلسل، فأنسحب داخل ذاتي وأتقوقع على مكتبي، وأنفصل عن كل تلك الضوضاء التي يحدثها زملائي في العمل، وأغوص في أعماقي استخرج تلك المقطوعة، رغم تلك الضوضاء والصخب والزعيق الذي

يحدثه أكثر من عشرة أشخاص يتكلمون في وقتٍ واحدٍ، هذا الميكانيكي أو الكهربائي السيارات أو السمكري يطلب طلب صرف للسيارة التي يعمل بها، فانعزل عن عالمي وأكتب له طلب الصرف أو الارتجاع، أو أنهي إجراءات الفاتورة التي أحضرها مندوب المشتريات من أحد المحلات بالخارج، وأعود لمحارتي أستكمل رحلتي في الكتابة، دون أن يشغلني صخب سوق عكاظ الذي نُصّبْ حولي، تلك هي الظروف التي تحيط بي، لذلك أقدمها للقارئ بعفويتها، وتلقائيتها، حتى يعرف مدى المعاناة التي تكبدناها نحن كتاب هذا الزمن، كي نتواصل مع الحياة، وكيف نشق طريقاً صعباً وعسيراً، مليئاً بالأشواك والعقبات، دون كلل أو ملل أو أن يصيبنا اليأس وإليك عزيزي القارئ أقدم لك تلك التجربة .

***

١ ـ بسمة على شفاه تعيسة

دفعه الجوع في البحث عن سد رمقه في أكوام القمامة الملقاة أمام أحد أقسام الشرطة

لا يجد وسيلة غير ذلك بعد أن ضاق به البيتان الذان كانا يأويانه، عندما لفظه زوج الأم بخسة، وطردته زوجة

أبيه بقسوة، فهام على وجهه في شوارع القاهرة يتسول قوت يومه، وينام تحت الكباري حاشراً جسده الضئيل في كرتونة تحميه من صقيع ليل الشتاء الطويل، كان حلمه أن يصبح في يوم ما ذا شأن، ولكن قسوة أبيه وقلة حيلة أمه وأدا هذا الحلـم .

البؤس ووحشة الأيام تطلان من عينيه طلة وحيد في البرية، وهو يقلب في كوم القمامة وسط مواء القطط ونباح كلاب ضالة . فجأة دوى انفجارٌ رهيبٌ تناثرت معه أشلائه واختلط بأشلاء القطط والكلاب اللذين كانوا يشاركونه وجبته، وطار رأسه المخضب بالدماء وحط على عتبة قسم الشرطة، وقد انطبعت على وجهه بسمة راحة من هذا الشقاء الذي انغمس فيه بلا إرادة !!

الساعة العاشرة صبيحة يوم السبت : ٤ / ٤ / ٢٠١٥

٢ ـ الخدمة

لم يبق على نهاية خدمته إلا أيامٌ معدودةٌ يخلع رداء الميري الإلزامي، ويبدأ حياته الملكية، أغمض عينيه وسبح مع اللحظة التي يبدأ فيها تلك الحياة، ويمتلك تلك الأمنية الغالية التي يحيا من أجلها، ويرتبط بمن تعلق قلبه بهواها، على أنغام أغنية العندليب»على قد الشوق اللي في عيوني»تراقص شوقاً والتياعاً، وأخذ يستدعي تفاصيل وجهها، ويطوي المسافات البعيدة التي تباعد بينه وبين تلك الحبيبة العالق قلبه في هواها، واحتضن وجهها البسام الذي لاح في مخيلته، انتبه لتلك السيارة المندفعة تجاه الكمين الذي يحرسه في تهور وجنون، والتي يقودها شابٌ يبغض أحلام الناس في أن يحيوا في سلام .

أطلق كل رصاصات رشاشه نحوها، ولكن كان اندفاع السيارة أسرع من أن توقفها كل رصاصاته، وتطايرت أشلاؤه وامتزجت بدمائه تروي حبات رمال سيناء بتضحيات جنودنا عبر الأزمان بينما صوت العندليب مازال يصدح بأغنيته وسط هذا الدمار : دمعي شهودي جرح خدودي في ليل سهادي، في ليل سهادي .

الساعة الحادية عشر صبيحة يوم السبت : ٤ / ٤ / ٢٠١٥

٣ - حلم في عين وقحة

ظلت تحلم بالبيت الكبير الذي يأوي حلمه، كمثل البنات اللاتي عرفتهن في الجامعة، ترسمه في خيالها وتضع أثاثه قطعة قطعة، بيت كبير يسع طموحها الذي تضخم مع أول يوم وضعت فيه قدميها في الجامعة، أصبحت تسخط على تلك الحياة، وتتمرد على معيشتها الضنكة ، وتلك الغرفة الضيقة التي تآويها، ولا يسعدها غير كلمات الغزل المتناثرة من أفواه شرهة تشتهي جسدها الرجراج المتناسق التقاطيع .

تنتشي فرحة ويهيمن عليها كبرياؤها في زهو :» ومين بس اللي يقدر ثمنه ؟!!»

ظل الحلم المعلق في مخيلتها يراودها في صحوها ومنامه، وظل الغل بداخلها يتنامي كمداً على تلك الفتيات اللاتي ولدن وفي أفواههن ملعقة من ذهب !! حتى أذعنت لتلك الغاوية التي يسرت لها الطريقة السهلة في الحصول على الأموال الطائلة التي ستقربها من هذا الحلم !!

الآن تقبع في صندوق سيارة الشرطة ملفوفة بملاءة السرير تخفي مفاتن جسدها الرجراج الذي استباحته لمن

يدفع فيه ثمناً بخساً، تدفن رأسها بين فخذيها في خزي وانكسار، وتنهمر دموع الحسرة أسيفة على ضياع هذا الحلم، وتتمنى أن تأتيها معجزة تخرجها من ورطتها هذه، وتعود بها إلى غرفتها الضيقة التي تمردت عليها وعلى واقعها المر !!

الساعة الحادية والنصف من يوم السبت : ٤ / ٤ / ٢٠١٥

٤ ـ تربص

ظل يتربص له ليالٍ عديدة، ويعد نفسه الضعيفة لتلك اللحظة الحاسمة، التي يثأر فيها لكرامته التي أهدرها ذلك الجبروت أمام الناس بقوته وبأسه، يحسب للحظة الانقضاض ألف حساب، ويرسم خطته بدقة وتأنَّ، ويهيئ نفسه كيف سيباغته ويأخذه على غرة، ولكنه يتراجع في آخر لحظة خوفاً من الفشل وضياع حياته على يديه !!

ما بين إقدام وتراجع تخذله شجاعته في كل مرة يقبع فيها يترصد خطواته .. ويرتد إلى نفسه مخذولاً يلومها بشدة ويؤنبها على هذا الجبن الذي يشل اندفاعه في الثأر لكرامته المهدورة كي يرفع رأسه بين أبناء حيه !!

في كل مرة تخذله شجاعته، ولكنه في هذه المرة كان قراره حاسماً، بعد أن امتلك فرد خرطوش سيبث في قلبه الحمية، ويحفز نفسه بأن رصاصاته ستكون أسرع من رد فعله، وستباغته في مقتل لتنهي هذا الأسطورة !! ولكن حين هم بالإقدام هتفت فيه روحه تحذره: «ماذا لو طاشت رصاصاتك ولم تقضيا عليه ؟!» ارتعش سلاحه في يده، وهو يرى شبحه يقبل نحوه من بين الظلمة الحالكة، ودبيب

خطواتـه الفتيـة يعلـو في الـدرب، ويمـضي صـوب بيتـه يفتـح بابـه ويدخـل في أمـان، نظـرات مقهـورة في حـسرة تحـوم في عينيـه، وصفعـة البـاب وهـو يغلـق في وجـه كأنهـا نفـس الصفعة التـي وجههـا لـه أمـام أهـل الحـي، عـض أنامـل الحـسرة عـلى تـرددهـ وإحجامـه، وأخـذ يؤنـب نفسـه المخذولـة عـلى ترددهـا، ويحمسـها أن في الغـد سـيكون الحسـم !!

الساعة الثانية إلا ثلث : ٤ / ٤ / ٢٠١٥

٥ ـ بائعة الجبنة

على أرضية رصيف القطار المتهالكة تربعت وأمامها طشت الجبن الفارغ في انتظار القطار القشاش الذي سيقلها إلى بلدتها، يوم طويل مرهق ككل أيامها التي تجاهد فيها لتوفير قوت يومها، بضعٌ وسبعون عاماً شقاء وجهاد وسعياً وراء الرزق بلا كلل أو شكوى، تلفحت بشالها الصوف فسرى الدفء في أوصالها، وحن البدن المتعب لغفوة من عناء يوم شاق، فسقط الرأس المجهد على صدرها وعلا غطيطه، لكن الريح البارد صفع وجهها المجعد فاستيقظت، وتساءلت عن سر تأخر القطار :»هو القطر أتأخر عن ميعاده كده ليه ؟!»

فتخبرها إحدى قريبتها في تعب :»كله بميعاده يا حاجه، دلوقتي يجيي»

لا تجد إجابة شافية، فتحن إلى غفوتها كي تنعم ببعض الراحة من عناء يوم مرهق وطويل، ومع ارتفاع سرينة القطار الزاحف نحو محطته الأخيرة، أخذ غطيطها يخفت شيئاً فشيئاً حتى سكن همسه .

عندما امتدت يد قريبتها لتنبهها كي تستقل القطار، هوت على جنبها وقد تجمدت أطرافها، فدوى الصراخ من حولها، وحوقل الرجال يتندرون على تلك الخاتمة بينما أخذ صفير القطار يعلو صارخاً منبأً الموجودين لانطلاق رحلته التالية !!

الساعة الثانية إلا عشر دقائق في نهار يوم : ٤ / ٤ / ٢٠١٥